فكرة المبادئ العشرة – النشأة والوظيفة

تطبيقاً على علم التفسير

د. فاروق بابكر محمد

الملخص

هدفت الدراسة إلى التعريف بالمبادئ العشرة للعلوم ، وبالنظر فيها وفي جدواها وفاعليتها وحاجة العلوم إليها قديما وحديثا ، كما هدفت إلى الوقوف على نشأة هذه المبادئ والأسباب الموضوعية التي أدت إلى ظهورها ، وتطرقت إلى مبادئ علم التفسير باعتبارها نموذجا تطبيقيا ، وقد أكدت الدراسة على حاجة العلم المستمرة إلى هذه المبادئ التي تعد مدخلاً لازماً لكل علم . اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي . توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج من أهمها : أن المبادئ العشرة لا تشكل عائقا أمام نهضة العلم وتطوره ، وأنها تعين على تطور العلوم وتساعد في توضيح مفهوم العلم وغايته ومقصده بحيث لا يختلط بغيره من العلوم ، كما توصلت إلى أن المبادئ العشرة يمكن أن يكون لها أثراً إيجابياً في عملية التكامل المعرفي بين العلوم ، إذ في نهاية الأمر العلوم كلها تتكامل وتعمل على توجيه البشرية تجاه الصواب الذي يحقق لها الأمن والسعادة والرقي في الدنيا والآخرة ، وقد لاحظت الدراسة أن جل العلوم التي تدرس في الجامعات والمؤسسات العلمية المتخصصة تلتزم عمليا بفكرة ونظرية المبادئ العشرة بعضها أو جلها إن لم تكن كلها ، وهذا المنحى العلمي المعاصر يعزز ويقوي ويدعم التوجه نحو التمسك بهذه المبادئ والتقيد بها والحث عليها إيجاباً ، كما تشير الدراسة إلى أن المحاولات الرامية إلى التقليل من شأن الالتزام والتقيد بهذه المبادئ قد تؤدي إلى فوضى علمية عاقبتها وخيمة ، ومردودها خطير ربما على كافة البشرية ، لذلك فإن الدراسة تدعم وتدعوا جميع العلماء والباحثين للالتزام والتقيد بهذه المبادئ لما فيها من النفع والفائدة . توصي الدراسة : بإجراء المزيد من البحث والنقاش العلمي حول جدوى وأهمية المبادئ.

مقدمة :

العلم هو عبارة عن مجموعة من المعلومات، والمعارف، والتفسيرات، والتحليلات اللامتناهية سواء أكانت قابلة للاختبار والتنبؤ في إطار هذا الكون(الوجود) أو لم تكن قابلة للاختبار مثل (علم الغيب) الذي أخبر به الوحي الكريم ، وتوجد العديد من أنواع العلوم المختلفة التي يقوم بدراستها مختصون، وذلك لتدريسها للأجيال القادمة، ومحاولة ابتكار كل ما هو جديد ونافع لخدمة البشرية، وقد ساهمت العلوم في تطوير وتصحيح الكثير من المفاهيم والتصورات المتعلقة بالإنسان وعلاقاته بكثير من الموجودات مرئية وغير مرئية ، وما زال العلم مستمراً في عطائه واكتشافاته التي تعد البشرية في أمس الحاجة اليها .

والعلم ينبغي أن يكون أصل كلِّ شيء، إذ به تتحرر العقول والمفاهيم من القيود والأوهام، وبه تدار حركة الإنتاج وتمضي عجلة النهضة، وبه يقضى على الكساد والفساد، وعلى المستوى الديني فالعلم أساس كل عبادة، فلا يمكن أن نصلِّي دون علم، فالصلاة تحتاج إلى عالِم يعلِّمنا كيف صلَّى رسولُنا صلى الله عليه وسلم، وما يقال فيها وأركانها، ولا يمكن الصيام دون علم، فلا صلاة، ولا صيام، ولا زكاة، ولا حج ولا قدرة على توزيع التركات دون علم، وأيضا العلم هو الذي يقودنا إلى الحكم الراشد والسياسة الحكيمة والتوظيف الواعي للموارد التي تتنوع أشكالها وتتعدد منافعها ، من هنا تتحقق أهمية العلم لأنه الأساس الذي يبنى عليه كل شيء .

والعلوم الإسلامية تتمتع بمكانة عالية عند المسلمين ، وتقوم بمهام ووظائف جد جليلة فيما ترفد به المسلمين والبشرية جمعاء من ثمرات يانعة ونفحات عطرة ، وهذه العلوم (الإسلامية) لاشك في أنها قد نشأت نشأة فريدة ، فهي تهدف إلى تحقيق مقصد الهداية إلى الصراط المستقيم ، وذلك لا يتم إلا بمعرفة وفهم الوحي الذي يتمثل في الخطاب الرباني (القرآن الكريم)، والخطاب النبوي، (السنة المطهرة) فهماً سليماً وصحيحاً وتطلب ذلك وضع منهج علمي يقود إلى تحقيق هذا الهدف ،كما تطلب إنتاج وإنشاء علوم اعتبرت أساسيةً لتحقيق هذه الغاية النبيلة مثل علم التجويد والقراءات ومصطلح الحديث والنحو والبلاغة وأصول الفقه ....الخ ولتعدد هذه العلوم وتنوع قضاياها على أهميتها احتاجت إلى وضع محددات فارزة تمنع الاختلاط وتجعل كل علم مستقل باسمه وموضوعه وثمرته.... الخ فاهتدى العقل المسلم إلى المبادئ العشرة ، ويرى الباحث أن هذه النظرية تشير إلى عبقرية العالم المسلم ووعيه بضرورة وجود محددات منهجية لكل فن أو علم تكون بمثابة ضمانة مانعة من التعدي والتجاوز وبالوقت ذاته دافعة للتطور والتقدم في العلم المعين داخل إطار هذه المحددات المنهجية.

من هنا يأتي الحديث عن فكرة المبادئ العشرة للعلوم ، كيف نشأة ، وكيف رقت وتطورت ، وإلى أي مدى يتم التقيد بها في هذا العصر، وهل الحاجة إليها مازالت ماسة أم أن العلم في هذا العصر تجاوزها ولم يعد في حاجة إليها ، نسأل الله أن تكون هذه الدراسة ناضجة ومسدده وأن تسهم في الوصول إلى رؤية بينة تفيد العلم في مختلف مجالاته.

أسئلة البحث :

1–ماالمبادئ العشرة وما وظيفتها.

2–هل العلوم اليوم في حاجة إلى المبادئ العشرة.

3–هل تشكل المبادي العشرة عائقا أمام تطور العلم.

4–هل إفادة المبادئ العشرة العلم وفي أي ناحية.

5–هل المبادئ العشرة تختص بنوع معين من العلوم أم أنها يمكن أن تنسحب على كافة العلوم بلا استثناء.

وتتمثل أهمية هذه الدراسة في أنها تعنى بالبحث في قضية لها متعلق أساسي بالعلوم الإسلامية وقد مضى عليها العلماء المسلمون منذ قرون مضت ، وما زالت الممارسة العلمية المعاصرة تؤكد الحاجة إليها ، ألا وهي قضية : (المبادئ العشرة للعلوم) ، وهذه الدراسة تعمل على إلقاء الضوء على هذه المبادئ ونشأتها وفوائدها وثمراتها.

حيث تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الآتي :

1–التعريف بالمبادئ العشرة ووظيفتها للعلوم.

2–أهميته المبادئ العشرة .

3–التأكيد على حاجة العلوم المعاصرة إلى المبادئ العشرة .

4–التعريف بالمبادئ العشرة لعلم التفسير (نموذج تطبيقي) .

ولقد اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي .

وجاء تقسيم الدّراسة كالتّالي:

أولاً: تحديد مفهوم المبدأ

ثانياً: إضاءة حول المبادئ العشرة

ثالثاً: نشأة المبادئ العشرة

رابعاً: وظيفة المبادئ العشرة وحاجة العلوم إليها

خامساً: المبادئ العشرة لعلم التفسير – نموذج

سادساً: الخاتمة والنتائج

سابعاً: المصادر والمراجع

تحديد مفهوم المبدأ

أولا : في اللغة : جاء في لسان العرب ، في أسماء الله عز وجل المبدئ: هو الذي أنشأ الأشياء واخترعها ابتداء من غير سابق مثال. والبدء: فعل الشيء أول. بدأ به وبدأه يبدؤه بدءا وأبدأه وابتدأه. ويقال : لك البدء والبدأة والبدأة والبديئة[1].

وفي تاج العروس، بدأ به يبدأ بدءا وابتدأ بمعنى واحد، وبدأ الشيء: فعله ابتداء أي قدمه في الفعل كأبدأه رباعيا، وابتدأه كذلك، وبدأ من أرضه لأخرى (خرج) ، و بدأ الله الخلق: خلقهم وأوجدهم وفي التنزيل: { الله يبدؤا الخلق[2]} وقال أبو زيد: أبدأت من أرض إلى أخرى إذا خرجت منها.

واسمه تعالى المبدىء وهو الذي أنشأ الأشياء واخترعها ابتداء من غير سابق مثال.

ويقال: لك البدء والبدأة والبداءة ، الأخير بالمد، والثلاثة بالفتح، على الأصل ، والبداهة، على البدل وزاد أبو زيد: بداءة كتفاحة، وزاد ابن منظور: البداءة بالكسر مهموزا، وأما البداية، بالكسر والتحتية بدل الهمزة فقال المطرزي ، لغة عامية، وعدها ابن بري من الأغلاط، ولكن قال ابن القطاع: هي لغة أنصارية، {بدأت بالشيء} وبديت به: قدمته على غيره ، وأنشد قول ابن رواحة:

باسم الإلاه وبه بدينا ولو عبدنا غيره شقينا[3]

وذكر ابن فارس ، الباء والدال والهمزة من افتتاح الشيء، يقال: بدأت بالأمر وابتدأت، من الابتداء والله تعالى المبدئ والبادئ. قال الله عز وجل: {إنه هو يبدئ ويعيد[4]} وقال تعالى: {كيف بدأ الخلق[5]} وتقول: أبدأت من أرض إلى أخرى أبدئ إبداء: إذا خرجت منها إلى غيرها. والبدأة النصيب، وهو من هذا أيضا، لأن كل ذي نصيب فهو يبدأ بذكره دون غيره، وهو أهمها إليه. قال الشاعر:

فمنحت بدأتها رقيبا جانحا ... والنار تلفح وجهه بأوارها[6].

وورد كذلك أن : (بدأ) به ابتدأ. و (بدأه) فعله ابتداء و (بدأ) الله الخلق و (أبدأهم)[7] .

ثانيا : في الاصطلاح : المبادئ اصطلاحاً: هي القواعد والمسائل الأساسية التي يتوقف عليها قيام الشيء ، ومبادئ العلم قواعده الضرورية التي يقوم عليها ولا يخرج عنها[8].

---

[1] أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري ، محمد بن مكرم بن على ، لسان العرب ، الناشر: دار صادر – بيروت ، الطبعة الثالثة – 1414 هـ ، ج1 ، ص 26 .

[2] سورة يونس ، آية 34 .

[3] مرتضى الزبيدي : محمد بن عبد الرزاق الحسيني ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق : مجموعة من المحققين ، دار الهداية ، بدون تاريخ طبع ، ص 138 .

[4] سورة البروج ، آية 13 .

[5] سورة العنكبوت ، آية 20 .

[6] أحمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، ت : عبد السلام محمد هارون ، الناشر : دار الفكر 1399هـ – 1979م ، ج 1 ، ص 212 .

[7] زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكرالحنفي الرازي ، مختار الصحاح ، ت : يوسف الشيخ محمد ، الطبعة الخامسة 1420هـ – 1999م ، الدار النموذجية – بيروت صيدا – ص 30 .

[8] راجع : علي بن محمد بن علي الجرجاني ، التعريفات ، تحقيق وضبط جماعة من العلماء ، الطبعة الأولى : 1403هـ – 1983م دار الكتب العلمية – بيروت –لبنان ، ص 137 بتصرف .

إذً فقولنا مبادئ العلم إنما نقصد منه القضايا التي تتوقف عليها مسائل العلم ومحاوره الأساسية التي يتمحور حولها ولا يحيد عنها . كتحرير المباحث وتقرير المذاهب ...الخ .

إضاءة حول المبادئ العشرة للعلوم .

المبادئ العشرة هي عبارة عن مدخل ضروري للعلم يتعلق بمفهومه وثمرته وموضوعه وواضعه ..... الخ وتعد هذه المبادئ مدخلا رئيسيا لكل علم من العلوم التي يسعى إليها تحصيلا وفهما ثم تنزيلاً، لذلك اكتسبت مكانة كبيرة واعتبرت ضرورية في ميدان العلم لإسلامي في العصور المتقدمة (السابقة) .

والمبادئ العشرة بحسب ترتيبها كما سيتم توضيحه لوحظ تباين عند العلماء في الترتيب حسب الأولوية في البداية والأثناء والنهاية ، فمنهم من قدم الحد على الاسم ومنهم من قدم الاسم على الحد وكذلك في الأثناء فمنهم من قدم المسائل ومنهم من أخرها ومنهم من قدم الحكم على الفضل ومنهم من أخره ...إلخ ولعل مثل هذه التباينات لا تعد أمرا ذا بال بالنظر إلى مجمل الفكرة، وهي كما يلي:

1– الاسم : (اسم العلم)

2– الحد: يعمد الباحث في أي علم من العلوم إلى تحديد مكوناته، وعلاقته بالعلوم الأخرى معتمدا في ذلك على الوحدة أو التشابه بيّن أصناف القضايا والمسائل المتعددة، فيجعل كل صنف من هذه المسائل والقضايا المتشابهة في قسم مستقل ويعطيه اسما خاصاً وتعريفا خاصا كذلك ، ويعد تحديد مفهوم العلم وتعريفه من الأمور الأساسية كما قال ابن حيان مشيرا إلى أهميته كمدخل للعلم ،أما الحدود فينظر فيها كل ساعة وأن إعطاء الحد (للعلم) أعظم ما في الباب وقال أيضاً: الحد هو التوصل إلى الماهية وهو أمر له دلالته حتى لا يدخل في الشيء ما ليس من صفاته الأساسية ولا يخرج منه ما هو من مقوماته الضرورية ، ولذا كان التعريف التام للعلم هو ما اتصف بهاتين الصفتين الأولى : كونه جامعاً ، الثانية : كونه مانعا[1].

3–الموضوع: وهو القضية التي يبحثها العلم فالتفسير مثلا موضوعه القرآن وهو كلام الله ، والسنة موضوعها كلام النبي صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره والسيرة منها ، والفقه موضوعه فعل المكلف ودورانه حول الاقتضاء والوضع والتخيير ، والنحو موضوعه كلام المتكلم العربي ، وأصول الفقه موضوعه القواعد الكلية التي تضبط الفقه والاجتهاد والنظر العام في الشريعة كليات ومقاصد ....الخ).

–المسائل(القواعد والقضايا الكلية التي يتوصل من خلالها إلى معرفة أحكام الجزئيات في العلم المعين)

5– الاستمداد (الأصول والمصادر التي يرجع إليها العلم).

6– النسبة: (المقصود إلى أي قسم من أقسام العلوم ينسب العلم المعين ، إذ العلوم تنقسم إلى عدة أقسام فعلوم العربية مثلا تسمى علوم الآلة والعلوم المتعلقة بالقرآن والسنة والفقه تسمى علوماً شرعيةً) ولعلنا في ذلك نسوق ما أورده صاحب كتاب أبجد العلوم فيما يتعلق بدوحة العلوم الشرعية أو الاعتقادية كما أسماها الدوحة السادسة ، فقال : اعلم أن العلوم الاعتقادية: إما متعلقة بالنقل أو فهم المنقول وتقريره وتشييده بالأدلة أو استخراج الأحكام المستنبطة، فالنقل: إن كان مما أتى به الرسول صلى الله عليه وسلم بواسطة الوحي فهو علم

[1] أنظر: د/ جلال الدين موسى ، تصنيف العلوم عند العلماء المسلمين ، بحث منشور في مجلة المسلم المعاصر – لبنان ، العدد41 سنة النشر 1985م .

القرآن ، أو بما صدر عن نفسه المؤيدة بالعصمة فعلم رواية الحديث، وفهم المنقول: إن كان من كلام الله تعالى فعلم تفسير القرآن، أو من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم فعلم دراية الحديث ، والتقرير: إما الآراء (المعتقدات) فعلم أصول الدين، أو الأفعال فعلم أصول الفقه، أو استخراج الأحكام من أدلتها فعلم الفقه ، ومنافع هذه العلوم جمة: إما في الدنيا فحفظ المهج[1] والأموال وانتظام سائر الأحوال وإما في الآخرة فالنجاة من العذاب الأليم والفوز بالنعيم المقيم وفي هذه الدوحة شعب.

الأولى: علم القراءة.

الثانية: علم رواية الحديث.

الثالثة: علم تفسير القرآن.

الرابعة: علم دراية الحديث.

الخامسة: علم أصول الدين المسمى بالكلام.

السادسة: علم أصول الفقه.

السابعة: علم الفقه[2].

وأما علوم الطب والهندسة والزراعة والصنائع الأخرى فتسمى علوما دنيوية، وعلى العموم فقضية تقسيم العلوم وتصنيفها قضية قديمة بل لعلها قبل الإسلام ، فالفلاسفة نقل عنهم كلام كثير في مسألة تقسيم العلوم ، وأعتقد أن هذا مما تأثر به المسلمون بسبب الاتصال والتواصل الذي تم بين المسلمين والفلسفة اليونانية خصوصا في العصر العباسي .

ولعل من أقدم التصانيف للعلوم في الإسلام هو ما أشار إليه جابر بن حيان (ت213هـ) في كتابيه (الحدود) و (إخراج القوة إلى الفعل) ، وقد اتخذ ابن حيان قسمة ثنائية للعلوم حيث يقول: لما كانت العلوم على ضربين، علم الدين وعلم الدنيا ، وعلم الدين منقسم قسمين شرعي وعقلي والعقلي منقسم قسمين، علوم حروف وعلوم معاني ....الخ .

وعلم الدنيا عند ابن حيان أيضا منقسم قسمين ، شريف ووضيع ، فالشريف علم الصنعة وهو علم الكيمياء ، والوضيع علم الصنائع التي يحتاج إليها علم الصنعة، وكما نلاحظ فهو يعتبر علم الكيمياء أشرف العلوم الدنيوية وعليه مدارها[3] .

والكندي (ت252هـ) كذلك عمل على تقسيم علوم عصره ويشير من خلال كلامه في الفلسفة أنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام هي :

---

[1] (مهج) الميم والهاء والجيم كلمة تدل على شيء سائل. من ذلك الأمهجان: اللبن الرقيق. ولبن ماهج: إذا رق والمهجة فيما يقال: دم القلب ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي ، معجم مقاييس اللغة ، باب : الميم والهاء وما يثلثهما ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، الناشر: دار الفكر تاريخ النشر : 1399هـ - 1979م ، ج 5 ، 280 .

[2] أبو الطيب محمد صديق خان ، أبجد العلوم ، الطبعة الأولى 1423هـ-2002م دار بن حزم ، ص 246 .

[3] راجع: د/ جلال الدين موسى ، تصنيف العلوم عند العلماء المسلمين ، بحث منشور في مجلة المسلم المعاصر – لبنان ، العدد41 سنة النشر 1985م

العلم الرياضي 2- العلم الطبيعي 3- علم الربوبية ، وهو العلم الإلهي عند أرسطو ، سيما والفلسفة عند الكندي هي : علم كل شيء .

والفارابي (ت339هـ) في كتابه (إحصاء العلوم) يقول : كل علم إما أن يكون مقصودا لذاته أو لا يكون مقصودا لذاته بل آلة لغيره، والعلوم إما أن تكون آلية أو غير آلية ، لأنها إما أن لا تكون في أنفسها آلة لتحصيل شيء آخر بل مقصودة لذاتها وبذاتها ، وإما أن تكون آلة غير مقصودة في نفسها[1] .

ولذلك أطلق العلماء على النحو والبلاغة وجميع علو اللغة العربية (على أهميتها ومكانتها) أطلقوا عليها اسم علوم الآلة إذ هي عندهم ليست مقصودة لذاتها بل هي وسيلة يتوصل من خلالها إلى الفهم السليم والنطق الصحيح ... الخ ، ومثلها علم التجويد فهو علم آله باعتبار أنه ليس مقصودا لذاته بل وسيلة يتوصل بها إلى صون اللسان عن اللحن والخطأ في كتاب الله ، بينما العلوم الشرعية مثل الفقه والتفسير والسيرة والسنة فهذه كلها علوم مقصودة لذاتها إذ بها تتحقق صحة التوجه إلى الله والسير على صراطه المستقيم.

7-الفضل (المقصود مكانة العلم إذ العلم يشرف بشرف موضوعه فالتفسير مثلا موضوعه القرآن الكريم وهو كلام الله ، والسنة موضوعها كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، والفقه موضوعه فعل المكلف ودورانه حول الاقتضاء والوضع والتخيير ، والنحو موضوعه كلام المتكلم العربي وأصول الفقه موضوعه القواعد الكلية التي تضبط الفقه والاجتهاد والنظر العام في الشريعة كليات ومقاصد، وعلم الطب موضوعه بدن الإنسان وكيفية تحصيل العافية لهذا البدن وعلم الزراعة موضوعه المزروعات والأرض والماء بقصد توفير الغذاء الصحي للإنسان والحيوان معا ، فكل علم يبدوا ويظهر شرفه وفضله من خلال موضوعه الذي يبحثه وأيضا من خلال ثمرته التي يتحصل عليها طالبه....الخ).

8-الثمرة (ثمرة كل علم هي ما يتمخض عن تداوله وتعاطيه من ملكات وقدرات يحصلها المشتغل بالعلم أو الفن المعين علما وعملا).

9- حكم الشارع(والحكم يدور حول الوجوب العيني والوجوب الكفائي فتارة يكون تعلم علم مّا, في حق شخص مّا, واجبًا وجوباً عينياً ، بمعنى أنه يتعين عليه التبحر فيه ومعرفة متعلقاته ودقائقه ، بينما ذات العلم ليس متعينا على شخص آخر لقيام غيره به والكفاية متحققة بهذا القيام للغير به ولذا قالوا في الوجوب الكفائي (إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين)

10- الواضع (والمقصود بالواضع هو مؤسس العلم ومبتدأه ، كالفراهيدي فهو الذي وضع علم العروض، وأبو الأسود الدؤلي هو الذي وضع علم النحو بإشارة من الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والإمام الشافعي هو الذي وضع علم أصول الفقه، وموسى بن عبيد الله الخاقاني البغدادي هو من وضع علم التجويد ، وقد يعرف واضع العلم أو الفن بالتنصيص عليه أو بالشهرةِ أو بالتاريخ أو بكل ذلك).

ولعل الداعي لمثل هذا الترتيب أمور، منها :

[1] المرجع السابق .

1- أن الشخص إذا أراد أن يدرس هذا العلم فأول ما يعرف عنه هو (اسمه) فإذا عرف اسمه فإنه بحاجة إلى تصور ماهية هذا العلم وحقيقته، فيحتاج إلى معرفة حده.
2- بعد ذلك يحتاج أن يعرف ما الذي يتم بحثه في هذا العلم إجمالا، وهذا هو (موضوع) العلم.
3- بعد ذلك يحتاج لمعرفة ذلك تفصيلا، وهو الكلام على (مسائل) العلم.
4- يحتاج بعد ذلك أن يعرف إن كان هذا العلم يستمد بعض مسائله من علوم أخرى، وما هي هذه العلوم، وهذا ما يعرف بـــ (استمداد) العلم ، ويتعلق به الكلام على ما إذا كانت هنالك علوم أخرى تستمد من هذا العلم.
5- بعد ذلك يحتاج إلى أن يعرف موقع هذا العلم من العلوم، ونسبته إلى الشرع أو غيره، وهذا ما يعرف بـــ (نسبة) العلم.
6- بعد ذلك يحتاج إلى أن يعرف (فضل) هذا العلم وشرفه من بين سائر العلوم، فإن العلوم المنسوبة للشرع تتفاضل، وإن كانت كلها فاضلة.
7- بعد ذلك يحتاج أن يعرف (ثمرة) هذا العلم وفائدته، كي تتشوف النفس إلى تعلمه، وتتشجع على دراسته.
8- بعد ذلك يحتاج أن يعرف (حكم الشارع) في تعلم هذا العلم، كي لا ينشغل بعلم مندوب قبل الواجب، ولا ينشغل بعلم تعلمه فرض كفاية عن علم تعلمه فرض عين عليه.
9-وأخيرا يحتاج أن يعرف من أخرج هذا العلم من الصدور إلى السطور، بأن يعرف أول من ألف فيه، وهو ما يعرف بالكلام على (الواضع) .

فهذه هي المبادئ العشرة للعلم، التي من علمها جميعا فقد أحاط بالعلم وتصوره تصوراً جيداً يؤهله للدخول في دراسته دراسة متمكنة.

وقد جمع هذه المبادئ ونظمها عدد من العلماء منهم أبو العباس المقري التلمساني المالكي ، أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى (ت1040هـــ) وهو صاحب كتاب نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ونص النظم كما يلي:

من رام فنا فليقدم أولاً علما بحده وموضوع تلا
وواضع ونسبة وما استم منه وفضله وحكم يعتمد
واسم وما أفاد والمسائل فتلك عشر للمنى وسائل
وبعضهم منها على البعض اقتصر ومن يكن يدري جميعها انتصر[1]

وهناك نظم آخر لأبي العرفان المصري ، محمد بن علي الصبان (ت1206هـــ) وهو المشتهر ونصه :

[1] أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمد شطا الدمياطي (المتوفى: بعد 1302هـــ) إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين الطبعة: الأولى، 1418 هـــ - 1997 م ، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوريع ، ج 1 ، ص 22 .

إن مبادِي كلِّ فنٍّ عشرةْ *** الحدُّ والموضوعُ ثم الثمرةْ
ونسبةٌ وفضلُهُ والواضعْ *** والاسمُ الاستمدادُ حكمُ الشارعْ
مسائلٌ والبعضُ بالبعضِ اكتفى ***ومن درى الجميعَ حازَ الشرفا[1]

قال سعيد قدورة: "يقولون حق على من أراد النظر في علم أن يعرف مبادئه وحده وفائدته ونسبته وموضوعه وحكمه فبالحد يعرف ما هو ساع في طلبه وبالفائدة يقوى الباعث على الطلب وبالموضوع يمتاز له ذلك العلم من غيره...وبلَّغ بعضهم المبادئ إلى ثمانية وبعضهم إلى عشرة...وعلى أنها عشرة درج شيخ شيوخنا أبو العباس سيدي أحمد بن زكريا في أرجوزته المسماة (محل المقاصد) حيث قال:

فأول الأبواب في المبادي *** وتلك عشرة على مرادي
الحد والموضوع ثم الواضع *** والاسم الاستمداد حكم الشارع
تصورا المسائل الفضيلة *** ونسبة فائدة جليلة
حق على طالب علم أن يحيط *** بفهم ذي العشرة ميزها ينيط
بسعيه قبل الشروع في الطلب *** بها يصير مبصرا لما طلب[2]

إنْ ضبط العلم (أي علم) بمثل هذه المبادئ والأصول يُيَسر على طالبه ومبتغيه فهم مسائله وقضاياه الكلية والفرعية ويعينه على إرجاع كل فرع إلى أصله, وذلك لارتكازه على أصول واضحة وكاشفة تؤهله وتمكنه من التحرك الحر داخل إطار واسع من المحددات المنهجية التي لا تعيقه ولا تكبته بل توجهه وترشده إلى كيفية الوصول إلى مقاصده وغاياته .

نشأة المبادئ العشرة :

المبادئ العشرة نشأة بظهور العلوم في عصر التابعين فلقد كان طلب العلم في زمن الصحابة رضوان الله عنهم اشتغالًا بالقرآن الكريم، والسنة المطهرة حفظا وفقها، بطريقة موسوعية جامعة، فلا تتجاوز الآية الواحدة حتى يتعلم ما فيها من أنواع العلم والعمل معًا ، وحديث أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله يوضح طريقة التعلم في تلك الفترة من تاريخ الأمة ، وكان ذلك يتم من غير تمييز بين أنواع المسائل الشرعية أو تفريق بين ألوانها بل بصورة عامة مجملة .

ومع مرور الزمان، كثرت المسائل، وتنوعت النوازل، واتسعت فتوحات المسلمين للبلدان مثل بلاد فارس والعراق وإفريقيا ، واختلط اللسان العربي باللسان العجمي، وظهرت عجمة في الأفهام نتيجة لعجمة اللسان، واقتضى حسن التعليم، ويسر التلقين، العدول عن تلك الطريقة الموسوعية الجامعة التي كانت متبعة في عصر الصحابة الأول إلى ما هو أيسر وأقصر، فاتجه العلماء إلى جمع كل جملة من المسائل العلمية التي تشترك في وحدة موضوعية واحدة ، فأفردوها باسم يخصها، وبلقب يميزها عن غيرها من المسائل، فتمايزت بذلك

[1] أنظر : أبو العرفان محمد بن على الصبان ، حاشية على شرح السلم للملوي ، الطبعة الثانية 1357هـ – 1938م ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ص 35 .

[2] أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمد شطا الدمياطي (المتوفى: بعد 1302هـ) إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين الطبعة: الأولى، 1418 هـ – 1997م ، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ج 1 ، ص 22 ، مرجع سابق .

العلوم، وتباينت الفنون في اسمها ورسمها، وعرفوا تلك العلوم بما يضبط مسائلها بطريقين غالبا، إما بذكر الموضوع والمسائل التي يحتويها العلم، وسموا ذلك حدًا أو تعريفًا، وإما بذكر الفائدة، والثمرة والغاية من دراسة ذلك العلم، وسموا ذلك رسما، والذي دعا إلى هذا التنويع هو أن فائدة العلم غير موضوعه ومسائله، فكما أن الثمرة ناشئة عن الشجرة وليست عينها، فالفائدة مترتبة وناشئة عن العلم بتلك المسائل وليست عينها أيضا، فصار العلم المتميز بشخصيته عند علماء التدوين هو جملة المسائل المضبوطة بجهة واحدة، موضوعية كانت أو غائية ثم إنه جرت عادة المصنفين من المتأخرين أن يدونوا مقدمة عن العلم تعتبر مدخلا هاما تتناول فضله وثمراته وحده واسمه وحكمه واستمداده ....الخ ما يتعلق بالعلم المعين في صدر مصنفاتهم، وذلك لفوائد عدة منها:

أولاً: أن يحصل طالب العلم بصيرة، وتصورا إجماليا للعلم قبل أن يدخل إلى تفاصيله، فيعرف الوحدة الجامعة لمسائل هذا العلم، فيأمن عندئذ من اشتباه مسائل العلوم عليه، ومن دخوله في مسائل ليس من مسائل العلم الذي عول عليه، وقصده

ثانياً: أن يتحقق من فائدة العلم ونفعه، لينشط في طلبه وتحصيله، وليستعذب المشاق في سبيله، وليكون عند طلبه هذا العلم النافع المفيد مجتنباً للعبث والجهالة والتهاون والبطالة .

وكثيرا من المتأخرين وضعوا بعد ذلك كتبا في موضوعات العلوم، ومبادئ الفنون، لعل من أجمعها وأشهرها كتاب "مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم"، للشيخ أحمد بن مصطفى المعروف ب"طاش كبرى زاده"، وكذلك كتاب "ترتيب العلوم" للشيخ محمد بن أبي بكر المرعشي المعروف ب"ساجقلي زاده"، وغير ذلك من المصنفات .

وقد استقر عمل المصنفين على ذكر مبادئ عشرة لكل علم وفن، تمثل مدخلا تعريفيا لطالب كل علم وجمع بعضهم هذه المبادئ العشرة في قوله :

إن مبادئ أي علم كانا *** عشر تزيد من درى عرفانا

الحد والواضع ثم الاسم *** والنسبة الموضوع ثم الحكم

وغاية وفضله استمداد *** مسائل بها الهنا يزداد

وقال الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى، أبو العباس، المقّرِي، التِّلمساني، المالكي، المؤرخ الأديب المتوفى سنة 1040 ه، وهو صاحب الكتاب القيم المشهور "نفح الطِّيب في غصن الأندلس الرطيب، قال في منظومته في العقيدة إضاءة الدُّجُنَّة في اعتقاد أهل السنة .

مَن رامَ فناً فلْيُقدّمَ أولا *** علماً بحده وموضوعٍ تلا

وواضعٍ ونِسْبةٍ وما استمدّْ *** منه وفضلِه وحكمٍ يُعتمدْ

واسمٍ وما أفادَ والمسائلْ *** فتلك عشرٌ للمُنَى وسائلْ

وبعضُهم منها على البعض اقتصرْ *** ومَن يكنِ يدري جميعَها انتصرْ

وذكر الشيخ الأثيوبي في شرحه للامية الأفعال نقلا عن الخَضِري في منظومته قوله :

مَبَادِي أَيِّ عِلمٍ كَانَ حَدّ *** وَمَوضُوعٌ وغَايةٌ مُسْتَمَدُّ

مَسَائِلُ نِسْبَةٌ وَ اسمٌ وَ حُكْمُ *** وفَضْلٌ وَاضِعٌ عَشْرٌ تُعَدُّ[1]

وقال الشيخ محمد بن علي الصبان، أبو العرفان، المصري ، وهو صاحب الحاشية على شرح الأشموني في النحو، والحاشية على شرح السعد التفتازاني في المنطق، وله عدة كتب ومنظومات

إن مبادئ كل علم عشرة *** الحد والموضوع ثم الثمرة

ونسبة وفضله والواضع***الاسم الاستمداد حكم الشارع

مسائل والبعض بالبعض اكتفى *** ومن درى الجميع حاز الشرفا2

وظيفة المبادئ العشرة وفوائدها :

إذا اتفقنا على أن أي طالب علم من الضرورة بمكان أن يعمل عل تصور العلم الذي هو بصدد الدخول فيه والنهل من معينه ، فلزاما يتعين معرفة بعض القضايا الرئيسية التي ترتبط بهذا العلم المطلوب تحصيله وأعتقد أن هذا أمرا بدهياً لا اختلاف حوله بمعنى أنه لا يوجد من يقلل من أهمية وضرورية معرفة وفهم مداخل العلم الأساسية فهذه مسألة مسلم بها وإن وقع خلاف حول المسائل الأساسية المتعلقة بالعلم ما هي وكم مسألة تبلغ لذلك رأينا الصبان يقول : والبعض بالبعض اكتفى، ومن درا الجميع حاز الشرفا وأيضا قرأنا قول أبي العباس المقري:

وبعضُهم منها على البعض اقتصرْ *** ومَن يكنِ يدري جميعَها انتصرْ

على هذا نجد أهمية كبيرة لهذه المبادئ العشرة لكل من العلماء والباحثين وأيضا لطلاب العلم المبتدئين والواقع المعاصر يشهد على أن هذه المبادئ العشرة تؤدي وظيفة هامة وتقدم خدمة عظيمة للعلم وطالبيه والمشتغلين به فنحن نشاهد العديد من أساتذة الجامعات وفي مختلف التخصصات يقدمون للطلاب عادة في المحاضرة الأولى خلفية عن العلم ، تحتوي على هذه المبادئ ذاتها بعضها أو جلها أو كلها ، فغالبا يبدأ الأستاذ بتقديم نبذة عن العلم الذي سيدرسه للطلاب وهي عادة تتناول اسم العلم وموضوع العلم وتعريف العلم وثمرة العلم وواضع العلم أو مؤسسه .... الخ ، وهذا الأمر معمول به في كل المجالات والتخصصات إن لم أكن مبالغا ، ولعل الهدف من هذا المدخل هو تكوين وإنشاء تصور أولي في ذهنية الطالب الذي سيدرس هذا العلم كله أو جله أو بعضه بحسب المقرر الموضوع ، إذاً هناك ممارسة عملية ما زالت مستمرة وهي تدلل على أهمية هذه المبادئ وعلى أن لها حاجة ومن ورائها ثمرات مجنية وأنها جزء لا يتجزأ من المنهج العلمي الصائب والصحيح الذي ينبغي اتباعه والسير وفق مقتضياته ، ولا مناص من التقيد بهذه المبادئ في حركة المعرفة العلمية المعاصرة ولا أرى أنها تشكل عائقا أو عقبة في طريق تطور العلوم ونهضة المعارف بل على العكس من ذلك فهي داعم قوي لتأطير المفاهيم وتقدم العلوم وتكامل المعرفة وتعتبر المبادئ العشرة حارسا أمينا من اختلاط العلوم والمفاهيم الذي يعد أخطر من اختلاط الأنساب لما يتمخض عنه من أضرار في

[1] أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمد شطا الدمياطي (المتوفى: بعد 1302هـ) إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين ، ج 1 ، ص 22 ، مرجع سابق .

[2] أبو العرفان محمد بن على الصبان ، حاشية على شرح السلم للملوي ، ص 35 ، مرجع سابق .

الغالب نتائجها كارثية على البشرية بأجمعها ، وهذه المبادئ نود لو انسحبت على العلوم الوافدة من الغرب إلى العالم الإسلامي سيما فيما يتعلق ببعض العلوم المؤثرة جدا الآن في مسيرة البشرية المعاصرة مثل علم الاجتماع وعلم النفس والقانون وعلم السياسة والعلوم التربوية المختلفة وغيرها ، أعتقد أنها ستكون مثمرة ومفيدة في عملية التكامل المعرفي وعملية التوجيه الإسلامي للعلوم وأيضا في عملية التأصيل التي أنشأت لأجلها مؤسسات علمية وفكرية كثيرة تتوزع في عدد من الدول الإسلامية وغير الإسلامية .

ويلاحظ أن وضع هذه المبادئ مسألة اجتهادية استقرائية وليس هو مسألة نصية قطعية وإذا رأى أي عالم أن علماً ما من العلوم القديمة أو الحديثة في حاجة إلى وضع مزيد من الضوابط فما عليه إلا أن يبادر بطرح اجتهاده بصورة عملية منهجية وعلمية ، أو حتى من يظن أن هذه المبادئ لا تترتب عليها أي أهمية أو ثمرة فليعمل على تجاوزها ولينظر إلى النتائج التي ستترتب على هذا التجاوز ، فهل نستطيع مثلا أن نقدم علما من العلوم ، كالنحو ، أو الميراث، أو القراءات مثلا ، دون تحديد مفهومه ودون ذكر اسمه ودون بيان موضوعه وقضيته التي يبحثها ويدور حولها .... الخ ما هنالك من مسائل ، ولعل فكرة المبادئ العشرة للعلوم تلقي الضوء على عبقرية العقل المسلم وقدرته على الإنجاز والإنتاج المعرفي والفكري إذ قد ظهر ذلك في هذه العلوم والمعارف التي لا نستطيع أن ينكر أهميتها وعطاءها للإنسانية كلها ، والمبادئ العشرة كانت تشكل على الدوام المحددات المنهجية الفارزة التي تمنع الاختلاط والالتباس بين العلوم والفهوم وتتيح الفرصة للانطلاق والإبداع .

لذا فكل من أراد أن يتعلم علمًا عليه أن يبدأ بالوقوف على أساسياته وهي مبادئه العشرة التي توفر له تصوراً أولياً ضرورياً عن العلم قبل الشروع فيه ، ومن علم هذه المبادئ العشرة فقد أحاط بمداخل العلم وتصوره تصورًا يؤهله للدخول في دراسته دراسة تأصيلية دون أن يتعرض لأي نوع من الالتباس أو الاختلاط بينه وأي فن آخر ،وهذه هي وظيفة المبادئ العشرة .

مبادئ علم التفسير:

أولاً: الحد:

التفسير لغة : يأخذ معنى الإيضاح والتبيين ، ومنه قول الله تعالى في سورة الفرقان (ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا[1]) أي بيانا وتفصيلا ، والكلمة (تفسير) مأخوذة من فَسَرَ على وزن – ضرب – نصر – وهي بمعنى أبان وكشف ، وعند أهل اللغة الفسر هو الإبانة وكشف المغطى كالتفسير.

وفي لسان العرب (الفَسْرُ) البيان وهي من فَسَرَ الشيء يفسِره ويفسُره فسراً ، والفَسْرُ كشف المغطى ، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل وفسره بالتشديد أبانه والتفسير مثله[2]، وعلى هذا يمكننا القول أن

[1] سورة الفرقان ، آية 33 .

[2] أنظر :ابن منظور ، لسان العرب مادة (فسر) ، ج5 ص 555 ، ومختار الصحاح ، ج 1 ص 211، وتهذيب اللغة للأزهري ج 12 ص407.

كلمة تفسير تستعمل لغة في الكشف الحسي، وأيضا في الكشف عن المعاني المعقولة ، واستعماله في الكشف عن المعاني المعقولة أكثر من استعماله في المعاني الحسية[1] .

التفسير اصطلاحاً : يرى بعض العلماء أن التفسير ليس من العلوم التي يتكلف لها حد لأنه ليس قواعد أو ملكات ناشئة من مزاولة القواعد كغيره من العلوم التي أمكن لها أن تشبه العلوم العقلية ويكتفى فقط في تعريف التفسير اصطلاحا بأنه ، بيان كلام الله ، أو المبين لألفاظ القرآن ومفهوماتها غير أن أورد هذا القول لم يورد اسم أي من العلماء الذين ذهبوا هذا المذهب، وهو أن التفسير ليس كغيره من العلوم الناشئة من مزاولة القواعد، وأنه لا يشبه العلوم العقلية، وأنه ليس له قواعد أو ملكات ، وما من شك في أن مثل هذه الرؤية إن وجد من يتبناها ويوقن بها ويروج لها ، فهي بالضرورة في حاجة إلى مداولات ومدارسات عميقة، وذلك نسبة لأهمية التفسير في هذا العصر بالنسبة للمسلمين، وأهمية التخصص فيه ، ودعوى كونه ليس علما قد تصرف عنه جهود الباحثين، وتقلل فيه المتخصصين، سيما ونحن في عصر أصبحت السمة المميزة فيه للعلم هي التخصص، ومن هنا تأتي ضرورة إثبات كون التفسير علما، وهذا يوجب أن يوضع له حد (تعريف) (لغوي كما سبق واصطلاحي كما سيأتي) كغيره من العلوم الشرعية المختلفة[2] .

ذكر صاحب اللؤلؤ المنظوم في مبادئ العلوم أن التفسير من قبيل التصديقات ، لأنه يتضمن الحكم على الألفاظ بأنها مفيدة لهذه المعاني وعلى هذا يكون التفسير عبارة عن مسائل جزئية ، مثل قولنا ، (يأيها الناس) خطاب لأهل مكة ، و (يأيها الذين آمنوا) خطاب لأهل المدينة والاسم معناه الدال على المسمى ، والله معناه الذات الأقدس ، والرحمن معناه المحسن ، وغير ذلك ، ولا شك أن هذه قضايا جزئية[3]، ومن ذهب إلى إطلاق اسم العلم على التفسير مجموعة من العلماء المعتبرين متقدمين ومتأخرين ، وسنورد بعضا من ما ذهبوا إليه في وضع حد اصطلاحي لعلم التفسير .

فمن المتقدمين .

1- أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي .

2- بد ر الدين محمد بن عبد الله الزركشي .

3- علي بن محمد الجرجاني .

4- جلال الدين السيوطي .

1- فأبو حيان الأندلسي عرفه بأنه (علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها ، وأحكامها الإفرادية والتركيبية ، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب ، وتتمات ذلك[4]).

---

[1] أنظر : الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، مادة " السفر " ج 113/2 ، مرجع سابق .

[2] راجع : محمد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون ، ج 1 ، ص 234 .

[3] محمد أبو عليان الشافعي ، اللؤلؤ المنظوم في مبادئ العلوم ، ص\160-161

[4] أبو حيان الأندلسي الغرناطي ، محمد بن يوسف ، (654هـ-754هـ) ، البحر المحيط ، ج ص ط 2 ، 1413هـ 1992م ، دار الكتاب الإسلامي – القاهرة

2- والإمام الزركشي عرفه بأنه (علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج حكمه وأحكامه[1])

3- والجرجاني عرفه بأنه (توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة[2]).

4- وجلال الدين السيوطي، عرف التَّفسِير بأنه (الْكَلَام فِي أَسبَاب نزُول الْآيَة، وشأنها، وقصتها، وأحكامها من طَرِيق النَّقْل[3]) .

ومن المعاصرين .

محمد الطاهر بن عاشور .

فقد عرفه ابن عاشور بأنه (اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع[4]) .

ويعد ابن عاشور من المعاصرين الذين ناقشوا قضية كون التفسير علما أم لا ، ومما ذهب إليه في هذه المسألة قوله : لابد من الوقوف عند مدلول الكلمة (علم) فإن هذه الكلمة إذا أطلقت ، فإنما يراد بها واحدا من المعاني الآتية :

نفس الإدراك ، نحو قول أهل المنطق ، العلم إما تصور وإما تصديق .

الملكة المسماة بالعقل.

التصديق الجازم الذي يقابله الجهل .

العلم بالمسائل المعلومات، وهي مطلوبات خبرية، وقضايا كلية يبرهن عنها في العلم المعين.

ويظهر أن هذا العلم إن أخذ من حيث إنه بيان وتفسير لمراد الله من كلامه كان معدودا من أصول العلوم الشرعية ، وهي التي ذكرها الغزالي في الضرب الأول من العلوم الشرعية المحمودة[5] ، في إحياء علوم الدين إذ إنه عد أولها الكتاب والسنة[6] ، ولا شك أنه لا يعني بعلم الكتاب حفظ ألفاظه فحسب بل يضاف إلى حفظها فهم معانيها ، سيما وأنه قد صار كثير من الباحثين يعيبون الحفظ دون فهم وإدراك للمعاني ولهم في ذلك سلف من الصحابة رضوان الله عليهم ومن التابعين رحمهم الله، وبذلك صح أن يعد التفسير رأس العلوم الإسلامية ، كما وصفه البيضاوي بذلك .

---

[1] جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الشافعي ،المسند المحقق مولود سنة (849 هـ) الإتقان في علوم القرآن ، ج2 ص 174

[2] علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ) كتاب التعريفات ، دار الكتب العلمية بيروت -لبنانالطبعة:الأولى 1403هـ -1983م

[3] السيوطي ، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم ، ت : د / محمد إبراهيم عبادة ، الطبعة الأولى 1424هـ 2004م ، مكتبة الآداب – القاهرة ص39 .

[4] محمد طاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج1 ص11 ط الدار التونسية للنشر ، بدون تاريخ طبع .

[5] الإمام الغزالي رحمه الله ، قسم العلوم إلى شرعية وغيرها ، وقسم الشرعية إلى محمودة ومذمومة ، وقسم المحمودة إلى أربعة اضرب : أصول ، وفروع ، ومقدمات ، ومتممات ، فالأصول ، الكتاب والسنة والإجماع وآثار الصحابة ، والفروع ، ما فهم من الأصول وهو الفقه ، وعلم أحوال القلوب ، والمقدمات كالنحو واللغة والمتممات ، للقرآن والسنة وللآثار ، وهي التفسير والقراءات والأصول وعلم الرجال ، وليس في العلوم الشرعية مذموم إلا عرضا ، كبعض أحوال علم الكلام ، وبعض الفقه الذي يقصد به التحيل ونحو ذلك .

[6] راجع : ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر – بدون تاريخ طبع ، ج 1 ، ص 11 .

ثانياً: موضوعه: موضوع علم التفسير هو القرآن الكريم كلام الله، وقد روي عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قوله: كُنَّا إِذَا عَلَّمَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَشْرَ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ لَمْ نُجَاوِزْهُنَّ إِلَى غَيْرِهِنَّ حَتَّى نَعْلَمَ مَا فِيهِنَّ[1] ، ولعل المقصود من قوله حتى نعلم ما فيهن أي معرفة دلالة الألفاظ على المعاني وما يتمخض عنها من فهوم ومعارف يجعل القارئ للقرآن عالما بمدلول ما يقرئ ولعل من وظائف النبوة توضيح وتبيين معاني القرآن وهذه في الدرجة توازي وظيفة تبليغ ألفاظه وحروفه ولذا قال الله جل وعلا لرسوله صلى الله عليه وسلم ، (بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ[2])ولذا قال غير واحد من المفسرين في قوله تعالى :(لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) يحتمل أن يريد لتبين بسردك نص القرآن ما نزل، ويحتمل أن يريد لتبين بتفسيرك المجمل، وشرحك ما أشكل مما نزل، فيدخل في هذا ما بينته السنة من أمر الشريعة، وهذا قول مجاهد[3].

ثالثاً: ثمرته : القرآن الكريم كتاب هداية إلهية، وتشريع ديني، ونور يهدي للتي هي أقوم ، ويبتغي إصلاح مناهج الحياة، وأصول الأخلاق والقيم الإنسانية العليا، قال الله تعالى: (قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ، وَيَهْدِيهِمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ[4]) .

لذا فإن ثمرات علم التفسير متعددة نذكر بعضاً منها وهي كما يلي :

أولاً: عصمة المكلف عن الخطأ في فهم كلام الله تعالى، وغايته معرفة أوامره ونواهيه

ثانياً: التذكر والاعتبار ومعرفة هداية الله في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق ليفوز الأفراد والمجاميع بخيري العاجلة والآجلة.

ثالثاً: مساعدة المسلم على تدبّر القرآن الكريم المأمور به في قوله تعالى : كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ، وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ[5]: قال الإمام النّووي : وصفة ذلك، أن يشغل قلبه بالتّفكير في معنى ما يلفظ به، فيعرف معنى كلّ آية ويتأمّل الأوامر والنّواهي، ويعتقد قبول ذلك، فإن كان ممّا قصّر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر، وإذا مرّ بآية رحمة استبشر وسأل، أو عذاب أشفق وتعوّذ، أو تنــزيه نزّه وعظّم، أو دعاء تضرّع وطلب، أخرج مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال:" صلّيت مع النبيّ ذات ليلة، فافتتح البقرة فقرأها، ثم النّساء فقرأها، ثمّ آل عمران فقرأها، يقرأ مترسّلا، إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبّح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مرّ بتعوّذ تعوّذ وأخرج التّرمذي والحاكم عن جابر رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه، فقرأ عليهم سورة (الرّحمن) ، من أوّلها إلى آخرها، فسكتوا، فقال صلى الله عليه وسلم : (لَقَدْ

---

[1] أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي ، تفسير مقاتل بن سليمان ، ت : عبد الله محمود شحاته ، الطبعة الأولى : 1423هـ ، دار إحياء التراث ، ص 27

[2] سورة النحل ، آية 44 .

[3] ابن عطية الأندلسي ، أبو محمد عبد الحق بن غالب ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد ، الطبعة الأولى : 1422هـ دار الكتب العلمية – بيروت ، ج 3 ص 395 .

[4] سورة المائدة ، آيات 15-16 .

[5] وهبة مصطفى الزحيلي ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، الطبعة الثانية 1418هـ ، دار الفكر المعاصر- دمشق ، ج 1 ، ص 38/29 .

قَرَأْتُهَا عَلَى الجِنِّ فَكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُودًا مِنْكُمْ، كُنْتُ كُلَّمَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِهِ عزّ وجلّ: (فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ[1]) قَالُوا وَلاَ بِشَيْءٍ مِنْ نِعَمِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ، فَلَكَ الحَمْدُ[2] وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ومن المعلوم أنّ كلّ كلام فالمقصود منه فهم معانيه دون مجرّد ألفاظه، فالقرآن أولى بذلك، وأيضا فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتابا في فنّ من العلم كالطبّ والحساب ولا يستشرحوه، فكيف بكلام الله الّذي هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياه م[3]

فعلم التّفسير يحقق جانبا كبيرا من جوانب تدبّر كلام الله تعالى وفهمه .

رابعا: فضله قال الأصبهاني : أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن الكريم ذلك أن شرف الصناعة يكون إما بشرف موضوعها أو بشرف غرضها أو بشدة الحاجة إليها ، والتفسير قد حاز الشرف من الجهات الثلاث فموضوعه كلام الله تعالى ، والغرض منه الوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى ، وأما من جهة شدة الحاجة فلأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجلي أو آجلي مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية ، وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى ، وقال الطبري مبيناً فضل هذا العلم : اعلموا عباد الله أن أحق ما صرفت إلى علمه العناية وبلغت في معرفته الغاية ما كان لله في العلم به رضا وللعالم به إلى سبيل الرشد هدى وأن أجمع ذلك لباغيه كتاب الله الذي لا ريب فيه وتنزيله الذي لا مرية فيه الفائز بجزيل الذخر وسنى الأجر تاليه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

ومن فضائل علم التفسير تعلّقه بأشرف الكلام وأحسنه وأصدقه وأحكمه، وأعظمه بركة وأجلّه قدراً، وهو كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وقد روي من طرق متعدّدة أن فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه .

فالاشتغال بالتفسير اشتغال بأفضل الكلام وأحسنه تعلّما وتفهّماً، ومدارسة وتعليماً، فيكتسب المشتغل بالتفسير من علوم القرآن وكنوزه، ويقتبس من نوره وهداياته؛ ما يجد حسن أثره، وعظيم بركته عليه، ولا يزال العبد ينهل من هذا العلم ويستزيد منه حتى يجد بركته في نفسه وأهله وماله }كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب

خامساً : نسبته: علم التفسير من العلوم الشرعية ، وهو أجلها إطلاقا.

سادساً : واضعه : النبي صلى الله عليه وسلم هو أول من فسر القرآن الكريم ومن بعده صحابته الكرام فالمعلوم أن الصحابة كانت لهم مدارس كمدرسة عبد الله بن عباس بمكة ومدرسة أبي بن كعب بالمدينة المنورة ومدرسة عبد الله بن مسعود بالعراق ، وهذه كلها كانت عبارة عن مؤسسات علمية يتم تداول التفسير من خلالها وتتلمذ فيها عدد غير قليل من التابعين. .

سابعاً : اسمه: علم التفسير وسمي علم التفسير لما فيه من الكشف والتبيين واختص بهذا الاسم دون بقية العلوم

---

[1] سورة الرحمن .

2 أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ) المجموع شرح المهذب ، ت : محمد نجيب المطيعي ، الناشر : مكتبة الإرشاد ،

[3] تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، مجموع الفتاوى ، الطبعة الأولى، 1408هـ - 1987م ، ج 13 ، ص 332 .

مع أنها مشتملة على الكشف والتبيين لجلالة قدره ، وقصده إلى تبيين مراد الله من كلامه كان كأنه هو التفسير وحده دون ما عداه ، ويسمى أيضا التأويل فكثيرا ما نجد ابن جرير الطبري يطلق التأويل وهو يريد التفسير وهما عنده معناهما واحد .

ثامناً :استمداده : الاستمداد لغة من المدد : بفتح الميم والدال وهو بمعنى العون والغوث، والسين والتاء فيه للطلب. واصطلاحاً: يقصد به فيما يتعلق بالتفسير كل المعلومات السابق وجودها عن وجوده عند مدونيه والتي يحتاج إليها المفسر لبيان مراد الله تعالى ، من معرفته أولاً ومعرفة شيء من السنة النبوية والسيرة العطرة ، يضاف إلى ذلك معرفة علم اللغة ، والنحو، والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه والقراءات ،كما يحتاج لمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ ...الخ، يقول ابن عاشور رحمه الله : فأما استمداده من بعض العلوم الإسلامية، فذلك استمداد لقصد تفصيل التفسير على وجه أتم من الإجمال، وهو أصل لما استمد منه[1] فالتفسير مستمد من القرآن الكريم ومن السنة النبوية ومن السيرة النبوية ثم هناك علوماً خادمةً هي غاية في الأهمية وهي ما اصطلح على تسميتها بالعلوم التي يحتاج إليها المفسر وبعضهم أسماها شروط المفسر[2].

تاسعاً: حكمه :وقد أجمع العلماء أن التفسير من فروض الكفايات وأنه أجل العلوم الثلاثة الشرعية[3] ، وقد قسم حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنه وجوه التفسير إلى أربعة أقسام فروى سفيان، عن أبي الزناد قال ، قال ابن عباس رضي الله عنه: التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب بكلامها وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله عز وجل.

أما الذي تعرفه العرب بكلامها، فهو حقائق اللغة وموضوع كلامهم.

وأما الذي لا يعذر أحد بجهالته فهو ما يلزم الكافة في القرآن من الشرائع

وأما الذي يعلمه العلماء، فهو وجوه تأويل المتشابه وفروع الأحكام.

وأما الذي لا يعلمه إلا الله عز وجل، فهو ما يجري مجرى الغيوب وقيام الساعة.

عاشراً: مسائله: الأمور والمعاني التي يَبين بها القرآن الكريم. ومن مسائلة كذلك أصوله وقواعده فقواعد التفسير وأصوله هي تلك الضوابط والكليات التي تلتزم كي يتوصل بواسطتها إلى المعنى المراد. فأصول التفسير وقواعده مع التفسير كالنحو بالنسبة للنطق العربي والكتابة العربية فكما أن النحو ميزان يضبط القلم واللسان...فكذلك قواعد التفسير وأصوله هي ثوابت وموازين تضبط الفهم لكلام الله عز وجل وتمنع المفسر من الخطأ في تفسيره . وهذه قضية تعد من مسائل التفسير ومن ضروراته وأساسياته.

---

[1] ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، المقدمة الثانية ، ص 27 ، مرجع سابق .

[2] راجع : جلال الدين السيوطي ، التحبير في علم التفسير ، ت : فتحي عبد القادر فريد ، الطبعة الأولى : 1402-1982م الناشر : دار العلوم .

[3] العلوم الشرعية الثلاثة هي :التفسير والحديث والفقه ، ذكر ذلك الحافظ بن حجر .

الخاتمة : وتتضمن النتائج والتوصيات:

من منطلق الحديث عن فكرة المبادئ العشرة للعلوم كيف نشأة وكيف تطورت ، وهل الحاجة إليها مازالت ماسة أم أن العلم في هذا العصر تجاوزها ولم يعد في حاجة إليها ، نسأل الله أن تكون هذه الدراسة ساهمت في الوصول إلى رؤية بينة تفيد العلم في مجالاته المتعددة .

النتائج : توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج ، وهي :

1- أن هذه المبادئ لا تشكل عائقاً أمام نهضة العلم وتطوره بل على العكس من ذلك فهي تعين على تطور العلوم لأنها تعمل على توضيح هدف العلم وغايته ومقصدة وتعريفه بحيث لا يختلط بعلم آخر بل يتكامل ويتعاون إذ في نهاية الأمر العلوم كلها تتكامل وتعمل على توجيه البشرية تجاه الصواب الذي يحقق لها الأمن والسعادة والرقي في الدنيا والآخرة.

2- أن المبادئ العشرة يمكن أن تكون مفيدة جدا في عملية تأصيل العلم والمعرفة ،

3- ومسألة التكامل المعرفي والتوجيه الإسلامي للعلوم التي تجتهد فيها العديد من المؤسسات العلمية اليوم 3-كما المبادئ العشرة من أهم الضوابط المنهجية اللازمة للعلوم باعتبارها المدخل الموضوعي الصحيح للعلم والمبدأ الصائب لتوجيه الطالب في أي فن من الفنون.

4- أن جل العلوم التي تدرس في الجامعات والمؤسسات العلمية المتخصصة تلتزم عمليا بفكرة ونظرية المبادئ العشرة بعضها أو جلها إن لم تكن كلها ، وهذا المنحى العلمي المعاصر يعزز ويقوي ويدعم التوجه نحو التمسك بهذه المبادئ والتقيد بها والحث عليها إيجابا .

5- كما تشير الدراسة إلى أن المحاولات الرامية إلى التقليل من شأن الإلتزام والتقيد بهذه المبادئ قد تؤدي إلى فوضى علمية عاقبتها وخيمة ومردودها خطير ربما على كافة البشرية ، لذلك الورقة تدعم وتدعوا جميع العلماء والباحثين للإلتزام والتقيد بهذه المبادئ لما فيها من النفع والفائدة للعالم والمتعلم والمجتمع .

التوصيات : توصي الدراسة :

أولاً : بإجراء المزيد من البحث والنقاش العلمي حول جدوى وأهمية المبادئ العشرة للعلوم .

ثانياً : بدراسة قضية تاريخ العلوم ومقدماتها وقضاياها دراسة معمقة متصلة بفكرة الانتقال المنهجي والتطور الضروري للعلوم الإسلامية وفق الثوابت الفكرية للأمة .

ثالثاً : بالوقوف على الآثار المترتبة على مفهوم المبادئ العشرة في دراسة العلوم المعاصرة كالقانون والاقتصاد وعلم الاجتماع ، الـــــخ .

المصادر والمراجع :

1-أبو الطيب محمد صديق خان ، أبجد العلوم ، الطبعة الأولى 1423هـــ-2002م دار بن حزم

2-أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمد شطا الدمياطي (المتوفى: بعد 1302هـــ) إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين الطبعة: الأولى، 1418 هـــ - 1997 م ، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوريع أبو العرفان محمد بن على الصبان ، حاشية على شرح السلم للملوي الطبعة الثانية 1357هـــ - 1938م ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

3-مرتضى الزبيدي : محمد بن عبد الرزاق الحسيني ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق مجموعة من المحققين ، دار الهداية ، بدون تاريخ طبع .

4-أحمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، ت : عبد السلام محمد هارون ، الناشر : دار الفكر 1399هـــ - 1979م .

5-زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنفي الرازي ، مختار الصحاح ، ت : يوسف الشيخ محمد الطبعة الخامسة 1420هـــ - 1999م ، الدار النموذجية – بيروت صيدا –

6-علي بن محمد بن علي الجرجاني ، التعريفات ، تحقيق وضبط جماعة من العلماء ، الطبعة الأولى : 1403هـــ - 1983م دار الكتب العلمية – بيروت –لبنان .

7-الدكتورمحمد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون ، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة ، بدون تاريخ نشر .

8-محمد أبو عليان الشافعي ، اللؤلؤ المنظوم في مبادئ العلوم ،

9-أبو حيان الأندلسي الغرناطي ، محمد بن يوسف ، (654هـــ-754هـــ) البحر المحيط ، الطبعة الثانية 1413هـــ 1992م ، دار الكتاب الإسلامي – القاهرة .

10-جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الشافعي المسند المحقق مولود سنة (849 هـــ) الإتقان في علوم القرآن

11-علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـــ) ، كتاب التعريفات ،الناشر : دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ، الطبعة:الأولى 1403هـــ -1983م.

12-جلال الدين السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم ، تحقيق : د/محمد إبراهيم عبادة ، الطبعة الأولى 1424هـــ 2004م ، مكتبة الآداب – القاهرة .

13–محمد طاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، طباعة الدار التونسية للنشر ، بدون تاريخ طبع 14–أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ) المجموع شرح المهذب ، ت : محمد نجيب المطيعي ، الناشر : مكتبة الإرشاد بدون تاريخ طبع .

15–تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، مجموع الفتاوى ، الطبعة الأولى، 1408هـ – 1987م

16–وهبة مصطفى الزحيلي ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج الطبعة الثانية 1418هـ ، دار الفكر المعاصر– دمشق .

17–أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي ، تفسير مقاتل بن سليمان ، ت : عبد الله محمود شحاته الطبعة الأولى : 1423هـ ، دار إحياء التراث.

18–ابن عطية الأندلسي ، أبو محمد عبد الحق بن غالب ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد ، الطبعة الأولى : 1422هـ دار الكتب العلمية – بيروت.